ISSN: 2750-6142

النشر المسبق
Early View

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

Translation studies: Ontological Roots & Epistemological Seeds

Mustapha Jebbour*

Higher Institute of Nursing Professions and Health Techniques, Laayoune, Morocco

*Corresponding author: jeubour@gmail.com

Orcid: 0009-0009-6260-660X

Received	Accepted	Published online
12/04/2025	03/08/2025	08/09/2025

doi: 10.63939/ajts.z3ad9613

Cite this article as: Jebbour, M. (2025). Translation studies: Ontological Roots & Epistemological Seeds. *Arabic Journal for Translation Studies, 4*(13), 1-11. https://doi.org/10.63939/ajts.z3ad9613

Abstract

This paper seeks to highlight a paradox that continues to obscure the status of Translation Studies: the field's institutional expansion globally stands in contrast to its epistemological ambiguity. We refer to the growing ontological presence of the field, seen in the proliferation of institutes, schools, and academic programs-despite the continued lack of clarity regarding its theoretical foundations. Despite the growing number of publications-journals, academic books, and other scholarly output, there remains a vague consensus, or rather an unclear agreement, among scholars concerning the field's identity, objectives, and scope. This situation hinders efforts to establish Translation Studies as a well defined and autonomous academic discipline. The main goal of this paper is to raise awareness and advocate for a more coherent epistemological framing of Translation Studies, especially in light of the skepticism it sometimes faces, while other disciplines enjoy unquestioned legitimacy or are spared similar scrutiny. Specifically, we aim to identify a set of forces and factors that have contributed to the institutionalization of Translation Studies, often outside traditional political or economic motivations. We also seek to assess whether the field's knowledge base is compatible with its strong institutional presence, and to explore mechanisms for evaluating the feasibility of establishing Translation Studies as an independent, integrated scientific discipline within the humanities. This theoretical study employed a comparative and analytical approach to historical, sociological, and epistemological data, aiming to construct a framework that evaluates the autonomy of this field. The study's findings indicate that translation studies have secured their cognitive legitimacy, positioning the field at an intermediate status between established and emerging disciplines.

Keywords: Translation, Ontology, Epistemology, Sociology, History

© 2025, Jebbour, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
النشر المسبق
Early View
ISSN: 2750-6142

دراسات الترجمة: جذور أنطولوجية وبذور إبستمولوجية

مصطفى جبور*
المعهد العالي للمهن التمريضية وتقنيات الصحة، العيون، المغرب
*المؤلف المراسل: jeubour@gmail.com
الحساب الأكاديمي أوركيد : 0009-0009-6260-660X

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2025/04/12	2025/08/03	2025/09/08

doi: 10.63939/ajts.z3ad9613

للاقتباس: جبور، مصطفى. (2025). دراسات الترجمة: جذور أنطولوجية وبذور إبستمولوجية. *المجلة العربية لعلم الترجمة*، *4*(13)، 1-11. https://doi.org/10.63939/ajts.z3ad9613

ملخص

تسعى هذه الورقة إلى تسليط الضوء على المفارقة الغريبة التي تربك وضعية دراسات الترجمة، ألا وهي الانتشار المؤسساتي لهذه الأخيرة، في مقابل الهشاشة المعرفية التي تشوبها، نقصد الوجود الأنطلوجي المتنامي لهذا الحقل في شتى بقاع المعمور والمتمثل في (معاهد، مدارس، كليات، ...إلخ) بينما لا تزال نواته الإبستمولوجية غير واضحة المعالم نظرا للغموض الذي يكتنفها، رغم الإصدارات المتوالية والأعمال المجزية من (مجلات علمية، مؤلفات أكاديمية، ...إلخ). فأينما وليت وجهك تجد إجماعا باهتا، واتفاقا غير واضح لدى جمهور باحثيه في تحديد هويته وأهدافه ومضامينه، ما يعد إهدارا للجهود الرامية إلى تأسيس حقل معرفي متكامل المعالم. إن ما نروم إليه في متن هذه الورقة، على العموم، هو إثارة وعي يرافع عن هذا الحقل في ظل الإدانة المستمرة، مقابل ما تناله بعض الحقول المعرفية الأخرى من براءة، أو يغض الطرف عنها. أما على الخصوص، فنسعى إلى الوقوف على مجموعة من القوى والعوامل المساهمة في إنشاء هذا الحقل لمؤسساته هنا وهناك - في تناقض تام مع الطرح السالف- من غير تلك التقليدية المتعارف عليها أي السياسية والاقتصادية، والكشف عن مدى تناسب وتضافر الحضور المعرفي مع الوجود المؤسساتي البارز، وكذا الآليات التي يمكن بها قياس مدى إمكانية إطلاق كيان علمي مستقل ومتكامل على هذا الحقل، بالمقارنة مع حقول أخرى في العلوم الإنسانية. اعتمدت هذه الدراسة النظرية على المنهج المقارن والتحليلي للمعطيات التاريخية، والسوسيولوجية، والابستمولوجية، لبلورة تركيب تؤطره هذه الأبعاد لتقييم استقلالية هذا الحقل. مخرجات الدراسة خلصت إلى انتزاع دراسات الترجمة لشرعيتها المعرفية، لترتقي إلى منزلة بين المنزلتين.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، أنطولوجيا، إبستمولوجيا، سوسيولوجيا، التاريخ

©2025، جبور، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

مقدمة

على الرغم من تاريخها الحافل على مر القرون الماضية، إلا أن التساؤل عن طبيعة وهوية دراسات الترجمة لا زال مستمرا في أدبياتها، وبالخصوص في مجموعة من الأنشطة المتمثلة في الندوات والمؤتمرات الموسومة بكذا الترجمة، نظرا للإعاقة المعرفية التي تشلها، إن صح القول. فالهوية المتنازع عليها والأهداف المبهمة والمضامين المتناثرة، تعد نقاط ضعف تعرقل صيرورة نموها في أهون الحالات، وتهدد استمراريتها على المدى البعيد، في أسوء تقدير. إذ رغم الوجود الانطولوجي المستمر في النمو و الإنتشار لهذا الحقل من جهة، تبقى في جهة أخرى، مأسسة هذا الحقل ككيان مستقل في حاجة إلى أن يشفع بشرعية إبستمولوجية، ففي نظر ممارسي الترجمة ـ المهنيين بالخصوص ـ هي مجرد مهنة لا أقل ولا أكثر، أما عند اللسانيين فهي ليست إلا وسيلة لتعليم اللغة، وفي أحسن الأحوال فرعا من فروعها. و عند أهل الأدب ما هي إلا جزء من الأدب المقارن، أو مظهر من مظاهر الدراسات الثقافية. وفي تناقض تام مع هذا الطرح أسس هذا الحقل بنياته التحتية المتعددة الأشكال: مدارس ومعاهد للترجمة، بالإضافة إلى كليات وأقسام خاصة بالترجمة في شتى أنحاء المعمور، وكذا جمعيات تعنى بشؤونها، فضلا عن إصداراته الخاصة من مجلات وكتب أكاديمية.

1.منطلقات منهجية

أ. مشكلة الدراسة

انطلاقا من الأرضية السابقة يتبادر إلى ذهن المرء سؤال محوري: ما العوامل التي أسهمت في قيام واستمرار حقل دراسات الترجمة، وإلى أي مدى تتوافق الحصيلة المعرفية الحالية مع حضوره المؤسساتي البارز؟

إن الإجابة عن هذا السؤال ليس إلا محاولة لرمي حصى في بركة راكدة، أو إشاحة الوجه نحو بعض الجوانب المتغافل عنها. وما سنقدمه على العموم، لا يعدو أن يكون سوى مساهمة متواضعة في هذا الاتجاه، اتجاه يحاول إثارة نمط من الوعي الترجمي، وعي بأهمية هذا الحقل وبالعديد من أسسه النظرية و الانطولوجية.

ب. حدود الدراسة

تمتد الحدود الزمنية والمكانية المتقرحة للدراسة من القرن التاسع الميلادي مع بيت الحكمة في العصر العباسي، بالربوع العربية مرورا بمدرسة طليطلة والأكاديمية الفرنسية، بالربوع الغربية، وصولا إلى العقد الأخير من القرن الحادي والعشرين لتشمل التطورات المعاصرة في حقل دراسات الترجمة، في كلا الضفتين.

ت. الأدبيات السابقة

على عكس الأدبيات السابقة التي تناولت تطور الحقل بشكل منعزل، والواردة في متن هذه الدراسة، تطرقت هذه الأخيرة إلى الأبعاد التاريخية والاجتماعية والإبستمولوجية، للكشف عن الروابط المنسوجة بين هذه الأبعاد، والمساهمة في استمرارية و تأسيس حقل دراسات الترجمة.

ج. منهجية الدراسة

توسلت هذه الدراسة النظرية بمنهج التحليل المقارن، الذي يهدف إلى تحليل الإشكاليات المعرفية وتفكيك المقولات المتهافتة التي تضرب في حقل دراسات الترجمة، لفحصها بشكل نقدي. مع اعتماد المقارنة بين هذه الخطابات، وتقييم أوجه القوة والضعف في كل منها، ورصد مدى الانسجام والتوافق بين المعطيات المعرفية والمؤسساتية، على ضوء المجريات التاريخية والاجتماعية. من أجل تقديم قراءة سوسيو-تاريخية نقدية قائمة على التحليل المفاهيمي والمقارنة النظرية. فيما تمثلت منهجية اعتماد مراجع دون غيرها إلى الأسس التالية: بالاتكاء على نصوص تأسيسية في حقل دراسات الترجمة، والجمع بين أعمال غربية وعربية لتجنب التحيز المعرفي، والعمل على مبدأ الانفتاح بتوظيف مرجع بعيد عن حقل الترجمة لتغطية أبعاد الموضوع.

أما منطق تنظيم الدراسة، فينطلق من شرارة مقارنة المفارقات، ثم تتبع الجذور التاريخية والاجتماعية لتشكل الحقل، إلى البحث في مظاهر وجوده المؤسساتي، ومقارنة ذلك بحضوره المعرفي، وفق تحليل موضوعي في أفق استخلاص النتائج المتعلقة بمدى استقلاليته العلمية وإمكان ارتقائه إلى حقل معرفي مكتمل.

2. دراسات الترجمة بين الإدانة و البراءة

إن كشفا سريعا لعناوين بعض الإصدارات الرائجة حول الترجمة، سيكتشف القارئ وبقليل من التأمل؛ الكبوة الأولى والمتمثلة في مدى الاضطراب السائد سواء على مستوى التسمية والاصطلاح، وبمزيد من التأمل سيدرك الارتباك الحاصل على مستوى الحصر الموضوعاتي لحقل الترجمة من طرف الباحثين، الأمر الذي لا يساعد على إيجاد تعريف متكامل لهذا الحقل، نظرا لتقاطعه مع مجموعة من الحقول المعرفية الأخرى. ولعل أبرز مثال فيما ذكرناه حول الاختلاف في تحديد اسم خاص به، كونه ينعت من طرف البعض بفن الترجمة وعند البعض الآخر بعلم الترجمة أو دراسات الترجمة، ونسجل هذا من خلال توجه الكتابات الفرنكفونية إلى نعته بعلم الترجمة Traductologie، بينما تتوجه الانكلوسكسونية إلى نعته بدراسات الترجمة Translation studies (العواضي،2009، ص9). أما في العربية فنجدها تتراوح بين من يطلق عليها علم الترجمة أو *ترجميات*. غير أن الأمر فيما يظهر يتجاوز مجرد التسمية، ألم يؤسس ابن خلدون علم الاجتماع دون أن يستعمل هذا المصطلح! الواقع أن المسألة مقرونة بدرجة معينة، بمدى الوعي بوجود حقل مستقل من عدمه، هذا الوعي الذي بدأ يتعاظم في العقدين الأخيرين هو الذي يكرس انشغال العديد من الدارسين بمعالجة مجموعة من القضايا في حقل دراسات الترجمة.

نورد منها على سبيل المثال لا الحصر - أحد أبسط مظاهرها- ما يصب في موضوعنا، وهو مشاطرتنا الاستنكار المبطن لدانييل جيل Daniel Gile في سؤال موضوعي، يكشف عن سياسة الكيل بمكيالين، مفاده أن بعض التخصصات الأكاديمية الأخرى التي لها صلة بالأنشطة التطبيقية كاللسانيات والعلوم السياسية، لازال الممارسون لها يتخبطون في عدة مشاكل، رغم مضي عدة عقود من البحث المكثف والمضني في كلا المجالين، بقوله: "هل تمكن مدرسو اللغة لحد الآن من إيجاد أجود الطرق لتدريس اللغة الثانية؟ وهل تمكن الباحثون في السياسة بدورهم من طرح أدوات تساعد الزعماء السياسيين لحل المشاكل التي يواجهونها، أثناء تولي مقالد السلطة"(Gile, 2010, p. 257). ليكتشف بعد هذا التساؤل الجريء، أن وضعية بعض هذه

التخصصات الأكاديمية ليس أحسن حالا من وضعية دراسات الترجمة، رغم الإدانة المستمرة لها. وأردف دانييل تساؤله هذا، بحقيقة لا غبار عليها، أنه يبقى من الصعب الادعاء بأن مدرسي اللغة والسياسيين يقومون الآن بما هو أفضل من السابق.

لم يكتف صاحب التساؤل بإدراج التخصصين في قفص الاتهام على سبيل المقارنة، مع دراسات الترجمة، بل أدرج هذه المرة تخصصات أخرى لكن على سبيل المفارقة وهي كالآتي: التاريخ والفلسفة والإثنولوجيا (علم الأعراق)، مشيرا إلى أن هذا النوع من التخصصات لا يتعرض للضغط الذي تواجهه دراسات الترجمة، من حيث المُساءلة عن عرض المساهمات الملموسة التي تقدمها على أرض الواقع. - وكأن دراسات الترجمة محصورة في المساهمات الفكرية، وليست لها أي امتدادات ملموسة على أرض الواقع- والأدهى من هذا كله أن وجودها غير مهدد، سواء على المستوى الأنطولوجي أو الإبستمولوجي، والذي يرجعه دانييل حسب اعتقاده إلى قيمة معينة منحها إياها المجتمع من خلال الأنشطة البشرية التي ترسخت عبر الزمن والفضاء(Gile, 2010). لنتساءل بدورنا عقب هذه النقطة بالذات، أليست الترجمة من بين الأنشطة البشرية التي ترسخت بدورها عبر الزمن والفضاء؟ أليس وجودها المؤسساتي (الأنطولوجي) الضارب في عمق الفضاء (المجتمع) والزمن (التاريخ) دليلا على عراقتها؟ لنفض الغبار عن هذه الشواهد سنحاول استنطاق التاريخ من منظور ترجمي، رغبة في تسمية الأشياء بمسمياتها، وليس على أنها مجرد محطات شامخة في التراث الإنساني، تشهر بين الفينة والأخرى على هامش المناسبات الثقافية.

أ. الحضور السوسيو تاريخي

سنفتح في البداية القائمة التي أغلقها أمبرتو إيكو في إحدى محاضراته، المؤلفة من أربعة عناصر، تعد في نظره أسبابا تساهم في التعزيز والإعلاء من شأن الترجمة وهي: معرفية، وتكنولوجية، واقتصادية، وسياسية (هورنيغ، 2013، ص177). بإضافة عنصرين لا يقلان أهمية عن العناصر السابقة، وقد سبقت الإحالة عليهما في الفقرة السابقة والمتمثلان فيما هو تاريخي واجتماعي.

إن قيام مؤسسات الترجمة ليس كنتيجة لذرائع اقتصادية أو سياسية وحسب، لكن رهين أيضا بوجود قوى اجتماعية وتاريخية، تندرجان معا في تفاعل مركب، إنه تفاعل بين الرغبات الاجتماعية والتوثيق التاريخي. سنعمل على جعل أهم هذه القوى الاجتماعية، مرئية على رأس العرض التاريخي الوجيز، الذي سنمهد به، حول الجذور الأنطولوجية لحقل دراسات الترجمة، لأن الجانبين بمثابة مكامن قوة خفية، غير ملتفت إليها.

على غرار أو بخلاف مجموعة من الحقول المعرفية الأخرى، تستمد دراسات الترجمة شرعيتها من موروثها التاريخي المتمثل في الوجود الأنطولوجي المتناثر في ربوع المعمور شرقا وغربا، والذي يعد بحق جذورا ضاربة في التاريخ. لا يخفى على أحد المنارة العلمية التي تأسست في العهد العباسي وهي بيت الحكمة، التي لعبت دورا رياديا في التعليم والتأليف في مجال الترجمة خصوصا وباقي العلوم عموما. كما لا تخفى على أحد مدرسة طليطلة، المحطة العلمية التي تأسست في شبه الجزيرة الإيبيرية، أواخر القرن 12م، إلى جانب هاتين المعلمتين تأسست الأكاديمية الفرنسية، في منتصف القرن17م، كما شيدت أيضا في نفس الفترة مدرسة بور رويال.

فيما يخص **مدرسة بيت الحكمة**، سمحت الظرفية التي عاشتها الدولة العباسية المفعمة بالنشاط والحيوية في شتى ميادين الحياة، وخاصة الطفرة النوعية في الميدان العلمي، بتشييد منارة علمية، وهي مدرسة بيت الحكمة، التي عمل حنين بن

إسحاق بعد تقلده مهمة الإشراف العام عليها، على جعل فضائها أشبه بمؤسسة أكاديمية، تحكمها أبعاد مهنية، أي حضور منطق الربح والخسارة، بعد انتقال الترجمة من دائرة معرفية صرفة إلى دائرة تجارية (جوهري، 2012، ص 129).

وإذا تفحصنا طبيعة الاشتغال ومميزات العمل في مؤسسة إسحاق نجد أن الأمور لم تكن سهلة، وإنما يشوبها نوع من التنظيم، ينم عن معرفة وإن تكن غير معلنة بتدبير إطار مؤسساتي مع إدراك لطبيعة المادة المشتغل عليها، من خلال ما استجليناه عند حسن بحراوي في عمله "أبراج بابل" في حديثه عن حنين ابن إسحاق (بحراوي، 2010، ص ص 47-48).

أما لحظة احتكاك الغرب بالحضارة الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية، الموقع الذي التقط فيه الأوربيون المشعل من يد المسلمين، على إثر نشاط ترجمي لافت لا يمكن تجاهله تم تشييد إطار مؤسساتي أطلق عليه **مدرسة طليطلة** بفضل المطران رايمون الذي دعا إلى ترجمة كل ما خلفه المسلمون من ثروة ثقافية هائلة في هذه الجزيرة، والتي لم يشرع مسيحيو إسبانيا في نقلها أو إدراك أهميتها حتى أواخر ق 1 (بحراوي، 2010، ص 57).

كما تجدر الإشارة، إلى الطابع الدولي الذي شكلته الموارد البشرية لهذه المؤسسة، والمتمثل في حضور لفيف من المترجمين الإنجليز بالإضافة إلى القادمين من روما، إلى جانب المترجمين المحليين من مسيح وعرب و يهود (بحراوي، 2010، ص 84).

شهد منتصف القرن17م بدوره ميلاد **الأكاديمية الفرنسية**، بعد الجهود المنظمة لاحتواء النشاط الترجمي اللافت للأنظار، الذي تجلى بشكل واضح في إنشاء هذه المؤسسة لتأطير مزاولي هذا النشاط، برعاية فالنتين كونرار Valantin Conrart، الذي حفز مجموعة من المترجمين للتحرك من خلال هذه المؤسسة للرفع من قيمة النشاط الترجمي، والذي تمثل في الانكباب على ترجمة أعمال القدماء (بحراوي، 2010، ص 149).

التحقت بهذه المؤسسة رموز تركت بصماتها في دراسات الترجمة، مثال: الناقد ميزرياك Méziriac الذي أثار ضجة بعد إصداره خطابا نقديا لما ترجمه جاك أميوت، واعتبر كتابه من النماذج الأولى الاستثنائية، لنقد الترجمات، عرض فيه طريقة منهجية في ترصد الأخطاء، وترتيبها منطقيا ثم تحليلها بعد ذلك. كما لمع اسم أنطوان كودو Gadeau Antoine أحد أعضاء هذه الأكاديمية، من خلال مقدمة كتابه، التي جاءت على شكل بيان للترجمة، قال المؤرخ الفرنسي في مجال الترجمة بالار إن هذا البيان جاء بأفكار ذات أهمية كبيرة حول الترجمة. (بحراوي، 2010، ص ص 145-155)

سجلت مدرسة **بور رويال Port Royal** حضورها في نفس الفترة، أي في ق17م، من خلال نشاطها الذي تمثل في إدخال مفهوم جديد في نظرية الترجمة وهو المعادل، بالإضافة إلى مساهمتها في إصدار أعمال موازية، كما هو الحال مع بيير كوستيل Pierre Coustelالذي أصدر كتابا تربويا استلهمه من تعاليم هذه المدرسة، التي اعتمدت طرقا مختلفة في الترجمة يغلب عليها احترام النص الأصل، كما استمد بعض مبادئه من أحد أبرز أعضائها وهو أنطوان لميتر Antoine Lemaistre . (بحراوي، 2010، ص159)

يبقى في ظل غياب تاريخ مدون لنشاط الترجمة، بكل ما لكلمة مدون من معنى، صعوبة في الحديث عن جوانب أخرى تهم تفاصيل نشاط الترجمة - في الحضارة الغربية بشكل كبير، والحضارة الإسلامية بشكل أقل- كطبيعة التدبير التربوي داخل هذه المؤسسات، ومدى قدرتها الاستيعابية معرفيا بغياب أو حضور حلقات دراسية أو برامج ومناهج معينة، وماديا من حيث عدد الفصول وعدد أطر التدريس والمتعلمين. وكذا مدى قدراتها الاجتماعية، من حيث الاستجابة أو التفاعل مع المحيط

الخارجي لها. لكن يبقى النزر القليل الذي أتينا على ذكره والمتشظي في المرجع الذي اعتمدناه من الأهمية بمكان، إذ منه يمكن استجلاء بعض القوى الاجتماعية المساهمة في قيامه:

- تشييد مؤسسات تربوية: حصول وعي بضرورة إنشاء مؤسسات تحوي هذا النشاط الإنساني، في جو يسوده التعاون والتقدير.
- خلق أدوار اجتماعية: التمكن من استقطاب واستثمار موارد بشرية ذات الكفاءة الترجمية، من مدرسين ومتمدرسين.
- المساهمة في المحيط الاجتماعي: بطرح أعمال ذات قيمة علمية وازنة، سواء منها المترجمة أو تلك التي تعالج موضوع الترجمة، فضلا عن تقديم خدمات اجتماعية ذات بعد تجاري.

بعد أن كان تواجد مؤسسات الترجمة يعد على رؤوس الأصابع في تاريخها المبكر والمثير للإعجاب، أصبح بالإمكان في وقتنا الحاضر، الحديث عن ما لا يعد ولا يحصى من أشكال وأنواع هذه المؤسسات. فقد أنجز أنطوني بيم Anthony Pym ومونيك كاميناد Monique Caminade مسحا عجزا فيه عن تعداد الكم الهائل لمؤسسات الترجمة على المستوى العالمي، بعد أن استنزفت جهودهما أثناء إجراء هذه العملية، بسبب محاولتهما عدم إقصاء أي مؤسسة تقدم دروسا في الترجمة. لكن سرعان ما تراجعا عن هذه الخطوة، بتحديد شروط صارمة في الاستبيان، تمخضت عنها-على حد تعبير أنطوني- قائمة طيعة لكن ذات حجم مدهش، أي حوالي 270 مؤسسة.(بيم، 2010، ص ص 132-133). ما يؤشر على أن القائمة مفتوحة لو تم استحضار معايير أخرى، قد ترفع سقف القائمة إلى مئات المؤسسات في شتى أنحاء العالم. كما يعني هذا من جهة أخرى، تضاعف العوامل أو القوى السوسيولوجية المساهمة في بقاء وتطور مؤسسات هذا الحقل.

للتقدم خطوتين إلى الأمام، لابد من الرجوع خطوة إلى الخلف، ونقصد أن الرصد التاريخي اليسير للوجود الانطولوجي المشار إليه أعلاه، يكتنفه أيضا حضور معرفي، تمثل في انطباعات أو آراء شخصية في مضمار الترجمة، فما مدى نضج وحضور هذا البعد الابستمولوجي اليوم في حقل دراسات الترجمة ؟

ب. الحضور الإبستمولوجي

أثبتت مجموعة من المصادر التي تتناول تاريخ الترجمة بشيء من التفصيل، إلقاء اعترافات خاطفة أو انطباعات ذاتية حائرة على مسرح الأحداث، من طرف المترجمين بعد إسدال الستار على ترجماتهم، ما يشي بأن المحتوى التنظيري حاضر بغض النظر عن مدى وضوحه، منذ البدايات الأولى (بيم، 2010، ص 13). وهذا ما يؤكد أيضا، أن مأسسة هذا الحقل لم تكن بالمطلق نتيجة السعي وراء العوامل البرغماتية وحسب، بل كان هناك في البدايات سعي حثيث وراء الحصيلة المعرفية لهذا الحقل. فإلى أي حد تتناسب أو تتناسق هذه الحصيلة مع الوجود المؤسساتي البارز؟ أليس الأمر أشبه بجثة ضخمة برأس صغير؟

خلفت العقود الماضية من عمر دراسات الترجمة أبحاثا ودراسات تراكمت نتائجها العلمية إلى الحد الذي أمكن من خلاله الحديث عن امتلاك دراسات الترجمة مادة علمية ضخمة وعددا لا يستهان به من النماذج والمقاربات (العواضي، 2009، ص24)، ليصبح من الضروري استثمار هذا الكم الهائل من المعطيات حول العديد من النقاط الساخنة في حقل الترجمة، إما

في أبسط أشكاله أي بلورة هذا الرصيد في شكل مضامين تربوية، أو في أعقد مظاهره من خلال تنظيم هذا الرصيد في أنساق نظرية لأجل التأسيس لحقل مستقل واضح المعالم.

ما سنقدمه يتمثل في المحاولة التي تمكن من خلالها جين روني لادميرال Ladmiral Jean-René استثمار الطفرة النظرية لحقل دراسات الترجمة، لأنها تبدو بلا منازع أكثر نضجا وتكاملا عن غيرها. بواسطتها سحب لادميرال نظرية الترجمة بعيدا عن الجدل الرتيب حول أدبيات دراسات الترجمة، والتي تدل على سعيه الحثيث في وضع إطار إبستيمولوجي مستقل خاص بالترجمة بدل الاتكاء على حقول معرفية أخرى. هذا الأخير اقترح ترتيبا يتجاوز مجرد التتابع الذي يكتفى فيه بالتصنيف الظاهر لمختلف الأعمال(العواضي، 2009، ص26). حيث أفرغ نشاط الترجمة في أربعة محاور وسمها بـ:علم الترجمة المعياري، وعلم الترجمة الوصفي، ثم الإنتاجي، فالاستقرائي، وسنستبدل كلمة "علم" بما سنعتبره الموجات الابستمولوجية للترجمة.

وفيما يلي أهم المعايير التي لمسناها من ثنايا مقاله المعنون بـ"إبستمولوجيا الترجمة" « Epistémologies de La Traduction » (العواضي، 2009، ص ص 23-24)، لأجل التقاط صورة إجمالية شكلت ملامح هذا الحقل في العصر الحديث، ولنتمكن من تكوين فكرة عن ما يميز كل موجة على حدة، وليس الغرض تتبع تطور هذا الحقل بكل تفاصيله الدقيقة، وإنما عرض عصارة معرفية لهذا الحقل.

1. الترجمة المعيارية أو التقادمية Prescriptive

هي عبارة عن آثار ذات طابع تأملي واضح، سواء أكانت مقالات بإلهام أدبي أو انقياد فلسفي، وهي أعمال ما قبل اللسانيات، ناجمة عن التفكير في اللغة الذي يمكن وصفه بالإيديولوجي أو الفلسفي، حيث لم تعد هذه الأعمال تشكل الغالبية في الإسهامات الأدبية المنتجة حول الترجمة، وهي ما أطلق عليها أيضا موجة الترجمة ما قبل البارحة.

2. الترجمة الوصفية Descriptive

تعتمد في الأساس اللسانيات لاعتبارها علما ضابطا بفعل الصرامة المنهجية الجديدة، تجمع عناصر الوصف، وتتبع منهجية لاحقة بالعمل المترجم، أي موضوعه الترجمة كناتج، وتندرج ضمنها أيضا الأعمال المساعدة في تعليم الترجمة الأكثر إغراقا في التقليد. وهي على العموم كل ما كتب منذ الحرب العالمية الثانية. هذه الأخيرة لم تعد الإتجاه السائد الذي تسير عليه البحوث في الوضع الراهن وهو ما جعله يطلق عليه موجة الترجمة البارحة.

3. نتاج الترجمة Productive

لا تقدم فيها نظرية الترجمة كنظرية وحيدة، لكن كمجموعة من المكونات النظرية المتعددة أي أنها بمثابة صندوق أدوات، لهذا تعترف بالذاتية في منهجيتها، أي إدارة الممارسة كل بحسب حاله، إنها أكثر التصاقا بالتعرف على ما يجري في ذهن كل مترجم، ووظيفتها هي المساهمة في استباق إنتاج المترجم للنص الهدف، أضف إلى هذا أنها لا تهدف إلى معرفة الموضوع بل إنها لا ترمي سوى إلى السيطرة على الممارسة، أي إلى مسلك لغوي لكتابة ثنائية اللغة، أما هدفها الأساسي التوصل إلى علم أصول التدريس، وتعد هذه الموجة من نشاط الترجمة حاضرة بشدة فيما يتم تداوله في دراسات الترجمة اليوم.

4. الترجمة الإستقرائية Inductive

هي الدراسة لما يفترض حدوثه في ذهن المترجم، أي يتخذ ما يجري في ذهن المترجم موضوعا له، ويلتزم بالرهان على التجربة وعلى الافتراضات النظرية التي يصيغها في إطار علم النفس الإدراكي، هذه الموجة ما زالت في طور التشكل وهذا ما جعله يطلق عليها موجة ترجمة الغد.

تعد هذه الموجات المتلاحقة، أبرز التمفصلات التي عرفتها صيرورة الترجمة. في معتركها ارتقت دراساتها من كونها مجرد انطباعات حائرة يلقى بها في مسرح الأحداث، إلى موضوع يشغل بال المهتمين لغاية الاعتراف بها على شاكلة الحقول المعرفية الأخرى. هذه الغاية لم تعد بعيدة المنال خصوصا بعد ركوب دراسات الترجمة الموجة الرابعة حيث تجري الأبحاث على قدم وساق من منظور تجريبي لإضفاء الرصانة العلمية عليها، والمساهمة في بناء صرحها المعرفي. ومن الواضح أنه ما كان لهذه الطفرة أن تقع لولا الوجود المؤسساتي الوازن في شتى ربوع المعمور، من مدارس ومعاهد وكليات، تعنى بتدريسها ودراستها وبالخصوص على يد جملة من مدرسيها.

3. محاولة للإفلات من فكي الإدانة

إن التباين الذي يلوح به البعض بين الإطارين المشكلين لهذا الحقل، قد يكون صحيحا لو مازلنا نعيش في الأمس البعيد الذي كان يسوده خطاب عقيم حول إمكانية أو استحالة الترجمة، لأن الحصيلة المعرفية لهذا الحقل اليوم، لا يمكن أبدا التهوين من شأنها، خصوصا لما وصلت إليه في الوقت الراهن. فهي تشرف حقا وجودها المؤسساتي البارز، ولا يعدو أن يكون التضخيم من شأنها الانطولوجي والتقزيم من شأنها المعرفي، إلا مركب نقص يشوب بعض الحقول المعرفية الأخرى. وهو ما سنحاول أن نتلمسه في الفقرة الموالية، باستعارة أربع آليات اعتمدتها ماريا مانزو Maria Manzo في محاولتها التثبت من وضعية حقل "التربية المقارنة" «Comparative Education». لنرى بدورنا مدى إمكانية إطلاق حقل مستقل ومتكامل على دراسات الترجمة بالمقارنة مع بعض الحقول المعرفية على خارطة العلوم الإنسانية.

لا يهم كون الآليات التالية بعيدة أو قريبة من الموضوعية، لكن الأهم أنها ليست بعيدة عن المنطق الفطري المبني على المعايير الذهنية، التي قد يقبلها البعض ويرفضها البعض الآخر. وهي كالآتي: 1- حضور مؤسساتي ومعرفي في نفس الوقت. 2- حضور معرفي وغياب مؤسساتي. 3- حضور مؤسساتي وغياب معرفي. 4- غياب الجانبين معا(Manzo, 2011, P101).

الآلية الأولى تدور حول ضرورة الحضور المؤسساتي والمعرفي جنبا إلى جنب، وهذا ما تتمتع به على سبيل المثال: الدراسات الإسلامية التي لها وجود مؤسساتي متنوع، تتفاوت إسهاماتها العلمية من مؤسسة لأخرى نذكر منها جامعة القرويين بفاس والأزهر بمصر، والزيتونة بتونس. الآلية الثانية، وهي التي تترنح تحتها عدة حقول معرفية، وتتمثل في الحضور المعرفي الواضح في مقابل الغياب المؤسساتي، وينطبق الأمر على تلك التي أتينا على ذكرها سابقا مثل التاريخ والفلسفة والاثنولوجيا ...، الآلية الثالثة، تتجلى في الحضور المؤسساتي في مقابل الغياب المعرفي، تتمظهر هذه الآلية على سبيل المثال في الفنون التشكيلية التي تشغل حيزا مؤسساتيا، لكن تعرف في نفس الوقت غيابا أو ضعفا معرفيا. الآلية الرابعة، والأخيرة تتمثل في غياب الجانبين معا.

فيما يخص وضعية دراسات الترجمة، فإن القول بانطباق الآلية الرابعة والثانية عليها غير وارد، أما القول بتطابقها مع الآلية الثالثة فهنا سنكون غير منصفين بل غير منطقيين مع ما أوردناه سابقا، لأنه انطلاقا مما عرضناه في هذه الورقة يتضح

أن الجانب الغائب أو بالأحرى المغيب، أصبح مرئيا أكثر من أي وقت مضى، وبدأ يكتسي زخما معرفيا، ويصعب أن نصفه بالغائب. وفي نفس الوقت لكي لا ندعي انطباق الآلية الأولى عليه، يبقى علينا القول أن دراسات الترجمة في طور الارتقاء نحو المنزلة الأولى، ما يعني أنها في منزلة بين المنزلتين.

خلاصة

خلاصة القول، يظهر أن الدراسات الترجمية حصلت على ما يكفي من الوجود الأنطولوجي الأصيل والمعاصر من مدارس ومعاهد...إلخ ، والذي لا يزال يعرف نموا مطردا على مستوى البرامج الأكاديمية، حيث تكشف البيانات تزايدا مهما(ATA 2023)، في عدد برامج البكالوريوس والدراسات العليا المعتمدة على مستوى العالم، ما يعني أن هذا النمو ستواكبه زيادة مماثلة في الإنتاجات البحثية، والمتمثل في الزيادة الكبيرة في عدد المجلات العلمية المحكمة، فضلا عن اللقاءات والمؤتمرات الدولية (FIT 2024)، وهذا ما جعلها قادرة على البقاء حية لتتخطى المأزق المعرفي الذي ظل يتردد في السنوات الماضية، ليصبح مجرد صدى بدأ يتلاشى بفضل جهود الباحثين. كما لا ننسى أيضا، أن تأسيس واستمرار هذا الحقل بمؤسساته ومعارفه، كان مصحوبا بتضافر قِوى سوسيولوجية مركبة لها الأثر الكبير في التأثير على جذوره الأنطولوجية وبذوره الإبستمولوجية، أي حصول تضافر سوسيوتاريخي - الحاضن للوجود الأنطولوجي- و ابستمولوجي أحدث تفاعلا، أمكننا من خلاله القول أن الترجمة استطاعت انتزاع شرعيتها من صلب الإدانة، واستثمرت بذورا مفاهيمية حتى تمكنت من رسم معالمها وتوسيع مداركها.

و يبقى القول: إن أي حقل علمي يشتد عوده، ليس فقط بوجود حصيلة مؤسساتية ومعرفية، بل في مدى قدرة هذه الحصيلة على تشكيل هويته العلمية والمعرفية، وتوضيح أهدافه، و تأطير مضامينه، والتي لن تكون في الأصل إلا بالتوصية على تحصيل مزيد من المهتمين المشتغلين بموضوعاته، وفق أجندات بحث منظمة، بلورة آليات قياس معتمدة لتحديد النضج الإبستمولوجي، ومحاولة خلق أدوار مهنية ليس بإمكان المجتمع أن يستغني عنها. هكذا تكون هذه الدراسة قامت بربط البعد الأنطولوجي بالحصيلة الإبستمولوجية عبر منظور سوسيوتاريخي مقارن، مساهمة بذلك في إعادة طرح سؤال استقلالية الحقل، لا بوصفه مأزقا دائما بل كعملية نضج متدرجة قابلة للقياس.

بيان الإفصاح

لم يُبلِّغ المؤلف عن أي تضارب محتمل في المصالح.

المراجع

المراجع العربية

- العواضي، ح. (2009). *علم الترجمة: دراسات في فلسفته وتطبيقاته*. دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع.
- بحراوي، ح. (2010). *أبراج بابل: شعرية الترجمة من التاريخ إلى النظري*. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- بيم، أ. (2010). *المنهج في تاريخ الترجمة* (ترجمة. علي كلفت). المركز القومي للترجمة.

- جوهري، أ. (2012). *ما بعد جريمة قابيل: عرض نظري في تاريخ الترجمة والمترجمين* (ج. 1). دار الطالب.
- هورنيغ، د. (2013). *من أجل تشريح الترجمة* (ت. م. الجرطي). مجلة العربية والترجمة، 5(13)، 176-181.

المراجع الأجنبية

- Gile, D., Hansen, G., & Pokorn, N. K. (Eds.). (2010). *Why translation studies matters*. (Benjamins Translation Library, Vol. 88). John Benjamins Publishing. https://doi.org/10.1075/btl.88
- Manzon, M. (2011). *Comparative education: The construction of a field*. Springer. https://doi.org/10.1007/978-94-007-1702-6
- American Translators Association. (2023). *University programs: ATA overview*. Retrieved September 3, 2025, from : https://www.atanet.org/universities/ata-overview/
- Fédération Internationale des Traducteurs / International Federation of Translators (FIT). (2024). *Translation programmes database*. Retrieved September 3, 2025, from: https://www.fit-ift.org/translation-programmes-database/

Romanization of Arabic Bibliography

- Al-Awadhi, H. (2009). *'Ilm al-Tarjama: Dirassat fi Falsafatihi wa Tatbiqatihi [Translation Studies: Its Philosophy and Applications]*. Dar AL-Zaman.
- Bahrawi, H. (2010). *Abraj Babel: Shi'riyat al-Tarjama min al-Tarikh ila al-Nazariyya [Towers of Babel: The Poetics of Translation from History to Theory]*. Publications of the Faculty of Arts and Humanities.
- Jawhari, A. (2012). *Ma Ba'd Jarimat Qabil: 'Ard Nazari fi Tarikh al-Tarjama wa-l-Mutarjimīn [After Cain's Crime: A Theoretical Overview of Translation and Translators' History]*. Dar Al-Talib.